النص التاريخي الموثق لغزوة أحد

د. أحمد محمد شعبان

رئيس قسم البحوث والترجمة

بعد هزيمة قريش في غزوة بدر بدأ زعماؤها يُعِدّون العدة لحرب يثأرون فيها من المسلمين[١] ، ويستعيدون هيبتهم بين العرب[٢] ، ويؤمِّنون طريق تجارتهم إلى الشام[٣] ؛ ورصدوا لذلك أموالاً طائلة[٤] ، وأرسلوا الرسل إلى القبائل ليشاركوهم في حرب المسلمين ؛ فاستجابت لهم قبائل كنانة وأهل تهامة وجمعٌ من الأحابيش[٥] ، وتجمعوا في مكة ، وأُسندت القيادة العامة إلى أبي سفيان بن حرب ، ودعا جُبَير بن مُطْعِم غلامه الحبشي وحشياً وقال له : اخرج مع الناس فإن قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة بن عدي فأنت عتيق[٦] .

وفي يوم الأربعاء الخامس من شوال[٧] في السنة الثالثة من الهجرة تحرك جيش المشركين من مكة المكرمة[٨] وعدده ثلاثة آلاف مقاتل ، فيهم سبعمائة دارع ، ومئتا فارس ، ومعهم ثلاثة آلاف بعير[٩] ، وتصحبهم خمس عشرة امرأة من أشرافهم ، منهن هند بنت عتبة ، وأم حكيم بنت الحارث بن هشام ، وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وعمرة بنت الحارث بن علقمة ، وخُنَاس بنت مالك بن المَضْرب يضربن بالدف ويبكين قتلى المشركين في بدر ؛ لتأجيج الحمية في قلوب الرجال[١٠] .

---

(١) انظر : السيرة النبوية ، لابن هشام ٨٣٧/٣ . والسيرة النبوية ، لابن حبان ، ص٢٨١ .

(٢) غزوة أحد ، لمحمد أحمد باشميل ، ص٥٣ .

(٣) التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة في عهد الرسول ﷺ ، للدكتور علي معطي ص٢٨١ . ومكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، للدكتور أحمد الشريف ، ص ٤٥٩ .

(٤) المغازي للواقدي ١٩٩/١-٢٠٠ ، سيرة ابن هشام ٨٣٧/٣ . والسيرة النبوية ، لابن حبان ، ص ٢١٨ .

(٥) المغازي للواقدي ٢٠١/١ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٨٣٨/٣-٨٣٩ . وعيون الأثر ، لابن سيد الناس ٤٠٦/١ . والأحابيش الذين حالفوا قريشاً هم: بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة ، وسموا بالأحابيش باسم الجبل الذي اجتمعوا عنده وتحالفوا على النصرة ، وقيل: سموا بذلك لاجتماعهم ، من التحبش أي التجمع . انظر عيون الأثر ٤٣٣/١ .

(٦) سيرة ابن هشام ٨٣٩/٣ . والسيرة النبوية ، لابن حبان ، ص ٢١٩ .

(٧) هذا على رأي جمهور المؤرخين ، ويرى الواقدي وابن سعد أن الغزوة كانت لسبع ليال خلون من شوال . المغازي ١٩٩/١ والطبقات ٣٦/٢ .

(٨) سبل الهدى والرشاد ١٨٣/٤ . ومرويات غزوة أحد ، ص ٤٥ .

(٩) انظر : المغازي للواقدي ٢٠٣/١ السيرة النبوية ، لابن حبان ، ص ٢١٩ .

(١٠) انظر :المغازي للواقدي ٢٠٢/١ ، ٢٠٣ ، ٣٠٦ ، وطبقات ابن سعد ٣٧/٢ . والسيرة النبوية ، لابن حبان ٢١٩ .

وأرسل العباس بن عبد المطلب - ولم يكن قد هاجر بعد- رجلاً من بني غفار إلى رسول الله ﷺ يخبره بتحرك جيش المشركين من مكة وعدده واستعداداته ، واشترط عليه أن يصل المدينة في ثلاثة أيام ، فوصلها ورسول الله ﷺ في قباء ؛ فقرأ عليه الرسالة أُبَي بن كعب ، فأمره بالكتمان ، ثم دخل على سعد بن الربيع فأخبره بكتاب العباس ، فقال: والله إني لأرجو أن يكون خيراً ، فاستكتمه إياه[١] ، ولكن بعض الركبان الذين شاهدوا الجيش في الطريق وصلوا إلى المدينة وأذاعوا خبره ، فأرجف به اليهود والمنافقون[٢] .

وبعث رسول الله أنساً ومؤنساً ابني فضالة ليرصدا الجيش ، فوجداه بالعقيق قرب المدينة[٣] ، ثم أرسل الحباب بن المنذر فوجد الجيش قد اقترب أكثر ، وعاث في بعض زروع أهلها ، وعاد ليؤكد الخبر للرسول ﷺ ، فأمره بالكتمان أيضاً[٤] .

وبلغ جيش المشركين مشارف المدينة عند جبل عَير[٥] ، ثم سار بمحاذاة وادي العقيق[٦] ، ثم انحرف منه يميناً حتى نزل بالقرب من جبل أحد[٧] ببطن

---

(١) المغازي للواقدي ٢٠٤/١ ، وطبقات ابن سعد ٣٧/٢ . وعيون الأثر ٤٠٦/١ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣٧/٢ . وسبل الهدى والرشاد ١٨٣/٤ .
وأرجف في الشيء أي : خاض به . القاموس مادة رجف .

(٣) المغازي للواقدي ٢٠٦/١ طبقات ابن سعد ٣٧/٢ .

(٤) انظر المصدرين السابقين .

(٥) جبل عير: أكبر جبل بالمدينة بعد جبل أحد ، يقع في المنطقة الجنوبية الغربية من المدينة ، على بعد ثمانية كيلومترات من المسجد النبوي تقريبًا ، ويمتد من الشرق إلى الغرب ، بطول يتراوح بين خمسة كيلومترات ونصف إلى ست كيلومترات ، وسطحه مستو ، ليست له قمة ، لذلك سمي جبل عير ، تشبيهًا له بظهر الحمار ، وقد جعله رسول الله ﷺ حدًا لحرم المدينة من تلك الناحية ، فقال :((المدينة حرم ما بين عير إلى ثور)) متفق عليه.
انظر : المغانم المطابة ٧١١/٢ ، ٩٦٥/٣ ، ووفاء الوفا للسمهودي ١٩٤/١ فما بعدها ، ٣٩٥/٤ .

(٦) وادي العقيق : من أشهر أودية المدينة ، تجري المياه فيه في مواسم الأمطار ، ويجف صيفًا ، يقدم من جنوب المدينة ، ويسير شمال جبل عير ، بميلان نحو الشرق ، حتى يلتقي بوادي بطحان قرب منطقة القبلتين ، ثم يسير شمالاً حتى يلتقي بوادي قناة ، القادم من شرقي المدينة بمكان يسمى مجمع الأسيال في منطقة زغابة . =
= وقد ورد في فضله أحاديث عدة ، منها ما رواه البخاري عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ بوادي العقيق يقول : ((أتاني الليلة آت من ربي فقال : صل في هذا الوادي المبارك)) .
البخاري ، باب قول النبي ﷺ العقيق واد مبارك ٥٥٦/٢ ، وانظر : تحقيق النصرة ، ١٨٣ ، ووفاء الوفا ٧/٤ فما بعدها .

(٧) جبل أحد : من أهم المعالم الطبيعية في المدينة المنورة ، يقع في الجهة الشمالية من المسجد النبوي ، على بعد ٤ كم ، ويمتد في الشرق والغرب بطول ٧ كم ، وعرض يتراوح بين ١ - ٣ كم .

السبخة[١] غربي جبل عينين[٢] على شفير وادي قناة[٣] ، وسرح خيله وإبله في زرع المسلمين[٤] .

وباتت المدينة في حالة استنفار لا يفارق رجالها السلاح ، وسهر مجموعة من المسلمين يحرسون مداخلها ، كما سهر عدد من الأنصار فيهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة على باب رسول الله ﷺ يحرسونه[٥] .

وفي صباح اليوم الرابع عشر من شهر شوال[٦] - وكان يوم جمعة - دعا رسول الله ﷺ وجوه المهاجرين والأنصار واستشارهم في الأمر ، وأخبرهم عن رؤيا رآها ، فقال ﷺ : « إني قد رأيت والله خيراً ؛ رأيت بقراً تذبح ، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة » ، وتأول البقر بنفر من أصحابه يقتلون ، وتأول الثلمة في سيفه برجل يصاب من أهل بيته ، وتأول الدرع

ولهذا الجبل مكانة متميزة في نفوس المسلمين ؛ يرتبط اسمه بهذه الغزوة ، وجاءت في فضله أحاديث كثيرة ، منها قوله ﷺ فيما رواه الشيخان وغيرهما : « أحد جبل يحبنا ونحبه » .

انظر : المغانم المطابة ٥٩١/٢ فما بعدها ، ووفاء الوفا ٣١٢/٣ فما بعدها .

(١) السبخة : هي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر . وفي المدينة سباخ كثيرة ، جاءت فيها أحاديث صحيحة ، والسبخة التي نزل بها المشركون في هذه الغزوة تمتد من أمام جبل عينين مما يلي المدينة وغربيه إلى بئر رومة .

السمهودي ٤٧٨/١ .

(٢) جبل عينين : جبل صغير ، طوله ١٨٠ مترًا ، وعرضه ٥٠ مترًا تقريبًا ، يقع جنوب جبل أحد ، يحده من الشمال مقبرة الشهداء ، ومن الجنوب وادي قناة ، ويسمى أيضًا : جبل الرماة ، لأن النبي ﷺ وضع الرماة عليه قبيل معركة أحد ليحموا ظهور المسلمين .

انظر : المغانم المطابة ٩٦٦/٣ ، وفاء الوفا ٣٩٧/٤ .

(٣) وادي قناة : أحد الأودية الكبيرة ، يقدم من شرق المدينة ، ويمر جنوب جبل أحد ، ثم يميل إلى الشمال قليلاً حتى يلتقي مع وادي العقيق عند مجمع الأسيال ، وهو من الأودية التي تجري في مواسم الأمطار ، وتجف بقية أيام السنة .

انظر : المغانم المطابة ١٠٥١/٣-١٠٥٢ ، ووفاء الوفا ٥٨/٤-٣٣٩ .

(٤) سيرة ابن هشام ٨٤٠/٣ . والسيرة النبوية ، لابن حبان ، ص٢١٩ . وعيون الأثر ٤٠٦/١ . وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٢١/٢ .

(٥) المغازي للواقدي ٢٠٨/١ . وطبقات ابن سعد٣٧/٢ .

(٦) انظر تاريخ خليفة بن خياط ٦٧ .

بالمدينة[١] ، ثم قال : « إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة ونجعل النساء والذرية في الآطام ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن دخلوا علينا قاتلناهم في الأزقة ، فنحن أعلم بها منهم ، ورُموا من فوق الصيا صي والآ طام » ؛ فوافقه على ذلك عدد من المهاجرين والأنصار ، كما وافق عليه رأس المنافقين عبد الله بن أُبَي بن سلول[٢] . لكن جمعاً من الصحابة خاصة الذين فاتهم يوم بدر أشاروا على الرسول ﷺ بالخروج ، وألحوا عليه في ذلك ، وقالوا : إنا نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا أنا كرهنا الخروج إليهم جُبْناً عن لقائهم فيكون هذا جرأة منهم علينا[٣] ، وقال النعمان بن مالك : يا رسول الله لا تحرمنا الجنة ، فوالذي نفسي بيده لأدخلنها . فقال رسول الله ﷺ : « بم ؟ » ، قال : لأني أحب الله ورسوله ولا أفر يوم الزحف ؛ فقال رسول الله ﷺ : « صدقت »[٤] ، وألح حمزة بن عبد المطلب ومالك بن سنان وإياس بن عتيك وجماعة في طلب الخروج ، فوافقهم رسول الله ﷺ على ذلك[٥] ، ثم حضرت صلاة الجمعة وقد اجتمع الناس لها من أنحاء المدينة فخطب فيهم رسول الله ﷺ ، فوعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد[٦] ، فخرجوا من الصلاة يتهيأون للقتال ، ونقلوا النساء والأطفال إلى الآطام ، ثم صلّى الرسول ﷺ بهم العصر ، ودخل بيته يتهيأ للقتال ، ومكث الناس ينتظرونه ، فقال سعد بن معاذ وأسيد بن حضير لمن دعا إلى الخروج : استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج والأمر ينزل عليه من السماء ، فرُدُّوا الأمر إليه ، فندموا على ذلك ؛ وخرج عليهم رسول الله ﷺ وقد لبس درعين[٧] ، وتقلد سيفه ، وألقى الترس على ظهره[٨] ، فقال بعضهم : يا رسول الله ؛ ما كان لنا أن نخالفك ، فاصنع ما بدا لك. فقال رسول

---

(١) المغازي للواقدي ٢٠٩/١ . وسيرة ابن هشام ٨٤٠/٣ . وعيون الأثر ٤٠٦/١ . وأصل الحديث في البخاري ١٣٢٦/٣ ، كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ، وكتاب المغازي باب من قتل من المسلمين يوم أحد ١٤٩٨/٤ . والمستدرك ، للحاكم١٩٨/٣ . ومسند الإمام أحمد ٢٧١/١ .

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٨٤٠/٣ . وطبقات ابن سعد ٣٨/٢ . وشرح الزرقاني على المواهب ٢٢/٢ .

(٣) انظر : المصادر السابقة . وعيون الأثر ٤٠٧/١ .

(٤) انظر : تاريخ الطبري٥٠٣/٢ .

(٥) انظر : المغازي للواقدي ٢١١/١-٢١٢ . وشرح الزرقاني ٢٢/٢-٢٣ .

(٦) انظر : المغازي للواقدي ٢١٣/١ . وطبقات ابن سعد ٣٨/٢ .

(٧) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٨٤٤/٣ . ومسند أحمد ٤٤٩/٣ . وسنن أبي داود ٧١/٣ .

(٨) انظر طبقات ابن سعد٣٨/٢ .

اللّه ﷺ : « ألا لا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم اللّه بينه وبين أعدائه ، فانظروا ما أمرتكم به فافعلوه وامضوا على اسم اللّه فلكم النصر ما صبرتم »[١] ، ثم دعا بثلاثة رماح ، فعقد ثلاثة ألوية ، وأعطى لواء الأوس لأسيد بن حضير ، ولواء الخزرج للحباب بن المنذر ، ولواء المهاجرين لمصعب بن عمير[٢] ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم[٣] ؛ ثم ركب فرسه وتوجه شمالاً يتبعه ألف من المقاتلين[٤] ، فيهم مائة دارع وفرسان[٥] ، ومعهم أربع عشرة[٦] امرأة منهنَّ عائشة زوجة رسول اللّه ﷺ ، وفاطمة ابنته ، وسيبة بنت كعب المازنية ، وغيرهن ، ومشى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة أمامه ، والناس عن يمينه وشماله ، حتى إذا جاوز ثنية الوادع[٧] رأى كتيبة حسنة التجهيز فقال : « من هؤلاء ؟ ، قالوا حلفاء ابن أُبَي من اليهود ، قال : وقد أسلموا ؟ ، قالوا : لا يا رسول اللّه ، قال : قولوا لهم فليرجعوا فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين »[٨] ، ثم سار ﷺ حتى إذا بلغ الشوط[٩] نكص عبد اللّه بن أبي سلول وهو يقول : أطاعهم

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ٨٤١/٣ . وأصل الحديث أخرجه أحمد في مسنده ٣٥١/٣ . والحاكم في المستدرك ١٢٩/٢ بألفاظ متقاربة .

(٢) المغازي للواقدي ٢٢٥/٢ وسبل الهدى والرشاد ١٨٦/٤ . ومرويات غزوة أحد ٦٥-٦٧ . وقيل: إنه دفعه إلى علي بن أبي طالب انظر: المغازي للواقدي ٢١٥/١ . وطبقات ابن سعد ٣٨/٢ .

(٣) انظر سيرة ابن هشام ٨٤١/٣ . وطبقات ابن سعد ٣٩/٢ .

(٤) انظر : سيرة ابن هشام ٨٤١/٣ . وسيرة ابن حبان ٢٢٠ .

(٥) انظر طبقات ابن سعد ٣٩/٢ . وتاريخ الطبري ٥٠٥/٢ . وأورد الهيثمي في مجمع الزوائد ١١٦/٦ .روايةفيها أن مع المسلمين فرسًا واحدًا . وروى البيهقي في الدلائل٢٠٩/٣ بسنده عن موسى بن عقبة فذكر الحديث وفيه قال : وليس مع المسلمين فرس .

(٦) سبل الهدى والرشاد ٢٢٧/٤ .

(٧) المراد بثنية الوداع هذه : ثنية الوداع الشامية ، وهي أشهر الثنايا في المدينة ، وموقعها على يمين الخارج من نفق المناخة ، عند ملتقى طريقي سيد الشهداء وأبي بكر الصديق (سلطانة) ، على بعد أقل من كيلومتر عن المسجد النبوي .
المغانم المطابة ٧٠٧/٢ . وفاء الوفا ١١٧٠/٤ . المعالم الأثيرة في السنة والسيرة لمحمد حسن شراب ، ص ٨٠-٨٤ .

(٨) انظر : سبل الهدى والرشاد ١٨٦/٤ . وقريب منه عند الواقدي ٢١٥/١ . وطبقات ابن سعد٣٩/٢ .

(٩) الشوط: اسم مكان بين المدينة وأحد ، كما نص على ذلك ابن هشام وغيره ، ونقل العياشي ص٥١٤- ٥١٥ خلاف أهل العلم في تعيين مكانه ، ويفهم منه أنه شمال جبل ذباب ، ثم قال: « وفي عينه هل هو حائط أو

وعصاني ما ندري علام نقتل أنفسنا أيها الناس ؟ وتبعه ثلاثمئة من قومه من أهل النفاق والريب[١] ، فجاءهم عبد الله بن عمرو بن حرام يقول : يا قوم أُذَكِّرُكم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر مِنْ عَدُوِّهم ، فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ، ولكنا لا نرى أن يكون قتال ، فلما استعصوا عليه وأبوا إلاَّ الانصراف قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغني الله عنكم نبيه ﷺ[٢] ، وأحدث نكوص المنافقين بلبلة في صفوف المسلمين ، وهمت بنو حارثة من الأوس ، و بنو سلمة من الخزرج بالانسحاب ، ولكن الله ثبتهما[٣] ، ودعا بعض الصحابة لقِتال هؤلاء المنافقين الذين انخذلوا عن رسول الله ﷺ . بينما ارتأت طائفة أخرى عدم مقاتلتهم ، فأنزل الله فيهما : ﴿ فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ﴾[٤][٥] .

وترك رسول الله ﷺ المنافقين الناكصين ، وسار بمن بقي معه من المؤمنين وهم سبعمائة ، حتى إذا بلغ أطم الشيخين[٦] عسكر عنده[٧] ، ثم استعرض الجيش ، فرد الصغار الذين لا يستطيعون القتال وكانوا سبعة عشر[٨] لا يتجاوز عمر الواحد منهم أربعة عشر عاماً ، فيهم عبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت ، وأسامة بن زيد ،

أطم؟ هذا ما أكله للماضي ولا أدري » ا .هـ قلت: وقد أورد ابن حجر في الإصابة في ترجمة أسماء بنت النعمان اسم بستان يقال له الشوط فلعلها المراد والله أعلم .

(١) انظر : سيرة ابن هشام٨٤١/٣ . وطبقات ابن سعد ٣٩/٢ . وسنن البيهقي ٣١/٩ . ويذكر البعض أنه انخذل بأحد ، والصواب الأول . انظر شرح المواهب للزرقاني ٢٧/٢ .

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٨٤٢/٣ . وعيون الأثر ص٤٠٧-٤٠٨ . وتاريخ الطبري ٥٠٤/٢ .

(٣) انظر تاريخ الطبري٥٠٤/٢ . وأصل الخبر في البخاري ١٢٣/٥ ، كتاب المغازي ، باب (إذ همت طائفتان) .

(٤) النساء : ٨٨ .

(٥) انظر سبل الهدى والرشاد ١٨٩/٤ . وأصل الخبر في البخاري ١٢٢/٥ ، كتاب المغازي ، باب غزوة أحد .

(٦) الأطم : حصن مبني من الحجارة ، وقيل : كل بيت مربع مسلح ، انظر لسان العرب مادة أطم .
وأطم الشيخين : من آطام اليهود من أهل الوالج ثم صار لبني حارثة من الأوس ، وقريبًا من موضع الأطم أقيم مسجد الشيخين ، الذي يقال إنه بني في مكان صلاة النبي ﷺ . ولا يزال المسجد قائماً حتى اليوم على طريق سيد الشهداء قريباً من مسجد المستراح .
المغانم المطابة ٨٨٢/٣ . وفاء الوفاء ٣٥٠/٤ .

(٧) المغازي للواقدي ٢١٦/١طبقات ابن سعد ٣٩/٢ . وتاريخ الطبري ٥٠٥/٢ . وسبل الهدى ١٨٧/٤ .

(٨) انظر سبل الهدى والرشاد ١٨٧/٤ .

وزيد بن أرقم ، وعرابة بن أوس ، وأبو سعيد الخدري ، ورافع بن خديج ، وسمرة بن جندب وغيرهم ؛ وأجاز رافع بن خديج لمّا قيل له : إنه رامٍ ، فقال سمرة بن جندب : أجاز رسول الله ﷺ رافعاً وردَّني وأنا أصرعه ، فأُعلم النبي ﷺ ، فقال : « تصارعا » ، فصرع سمرة رافعاً فأجازهما معاً[١] .

ثم صلى رسول الله ﷺ المغرب والعشاء في المكان نفسه[٢] ، واختار خمسين رجلاً بقيادة محمد بن مسلمة لحراسة الجيش ، وذكوان بن عبد قيس لحراسته ﷺ شخصياً[٣] ، ثم نام ﷺ حتى إذا كان السحر قام فصلى الصبح ، ثم تابع سيره إلى أحد[٤] ، وكان الطريق إلى أحد يمر قرب معسكر المشركين ؛ فقال ﷺ : « من رجل يخرج بنا على القوم من كثب لا يمر بنا عليهم » ؟ ، فقال أبو حثمة الحارثي[٥] : أنا يا رسول الله[٦] ؛ وسلك بهم طريقاً إلى الشرق قليلاً يمر بحرة بني حارثة وبمزارعهم[٧] ، منها بستان لِمربَع بن قيظي وكان منافقاً ضرير البصر ، فلما سمع حِسَّ رسول الله ﷺ ومن معه قام يحثو التراب في وجوههم ويقول : إن كنت رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل حائطي ، فابتدره القوم ليقتلوه ، فنهاهم النبي ﷺ[٨] ، ثم مضى حتى نزل الشعب من أحد قرب وادي قناة ، فجعل ظهر المسلمين إلى أحد ووجههم إلى المدينة ، وجعل جبل عينين عن يساره[٩] ، ووضع عليه

---

(١) انظر المغازي للواقدي ٢١٥/١-٢١٦ سيرة ابن هشام ٨٤٤/٣ .

(٢) المغازي للواقدي ٢١٤/١ ، وطبقات ابن سعد ٣٣٩/٢ .

(٣) مغازي الواقدي ٢١٧/١ .

(٤) انظر طبقات ابن سعد ٣٩/٢ . وعند الواقدي أنه صلى الصبح بأحد . انظر المغازي للواقدي ٢١٩/١ . وشرح الزرقاني ٢٧/٢ .

(٥) أبو حثمة الحارثي : هو عبد الله ، ويقال عامر بن ساعدة الحارثي ، صحابي جليل كان يبعثه النبي ﷺ ليخرص التمر أي : يقدره شهد أحداً مع النبي ﷺ وكان دليله ، توفي أول ولاية معاوية الإصابة ٨٥/٧ .

(٦) انظر : سيرة ابن هشام ٨٤٢/٣ . والواقدي ٢١٧/١ وشرح المواهب للزرقاني ٢٥/٢ .

(٧) انظر : سيرة ابن حبان ص ٢٢١ . وتاريخ الطبري ٥٠٦/٢ .

(٨) انظر : سيرة ابن هشام ٨٤٣/٣ . وتاريخ الطبري ٥٠٦/٢ .

(٩) المغازي للواقدي ٢١٩/١ وطبقات ابن سعد ٣٩/٢ وذكر الواقدي رواية أخرى وهي : أن النبي ﷺ جعل عينين خلف ظهره واستدبر الشمس واستقبلها المشركون ، ثم قال : والقول الأول أثبت عندنا .

خمسين رامياً[١] بقيادة عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري[٢] ، وأوكل إليهم حماية ظهر الجيش ، وقال لهم : « إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم »[٣] ، وجعل على ميمنة الجيش المنذر بن عمرو ، وعلى الميسرة الزبير بن العوام ، وأوكل إليه مواجهة فرسان المشركين[٤] ، ثم خطب خطبة حضَّ فيها على القتال والصبر[٥] ، ثم عرض سيفاً وقال : « من يأخذ مني هذا ؟ فبسطوا أيديهم كل منهم يقول : أنا أنا ؛ قال : فمن يأخذه بحقه ؟ ، فأحجم القوم ، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة : وما حقه يا رسول الله ؟ ، فقال ﷺ : أن تضرب به حتى ينحني » ، فقال أبو دجانة : أنا آخذه بحقه ، فأعطاه إياه رسول الله ﷺ[٦] ، فأخرج عصابته الحمراء - وكانت تسمى عصابة الموت - فاعتصب بها ، وخرج يمشي بين الصفين بتبختر وخُيلاء ، فقال ﷺ : « إنها لمشية يبغضها الله إلاّ في مثل هذا الموطن »[٧] .

و صفَّ المشركون جيشهم بالسبخة أمام المسلمين ، وجعلوا ظهورهم للمدينة[٨] ، وجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل[٩] ، وعلى المشاة صفوان بن أمية ، وعلى الرماة عبد الله بن أبي ربيعة[١٠] ؛

---

(١) كل المصادر تشير إلى أن مهمة الرماة هي حماية ظهر المسلمين من فرسان خالد ، وقد اختلفت في المكان الذي وضعهم فيه النبي ﷺ فذهب الواقدي وتلميذه ابن سعد وتبعهما جمع من المؤرخين إلى أن مركزهم كان على ظهر جبل عينين ، وذهب ابن القيم إلى أنهم كانوا خلف الجيش ، ولم يحدد كثير من المؤرخين كابن هشام المكان على وجه الدقة ، وإن كان يفهم منه أنهم كانوا خلف الجيش .

(٢) انظر :المغازي للواقدي ٢١٩/١ سيرة ابن هشام ٨٤٣/٣ . وتاريخ الطبري ٥٠٧/٢ .

(٣) هذا اللفظ للبخاري ٧٩/٤ ، كتاب الجهاد ، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب ، وقد وردت في السير بألفاظ قريبة . انظر : المغازي للواقدي ٢٢٤/١ وسيرة ابن هشام ٨٤٣/٣ .

(٤) انظر تاريخ الطبري ٥٠٨/٢ .

(٥) انظر نص الخطبة عند الواقدي ٢٢١/١ .

(٦) انظر صحيح مسلم ١٩١٧/٤ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أبي دجانة ح ١٢٨ . وانظر سيرة ابن هشام ٨٤٤/٣ . والمستدرك للحاكم ٢٣٠/٣ .

(٧) انظر : المغازي للواقدي ٢٥٩/١ ، وسيرة ابن هشام ٨٤٥/٣ . وابن حبان ص٢٢٢ .

(٨) انظر : المغازي للواقدي ٢٢٠/١ ، وسيرة ابن هشام ٨٤٤/٣ .

(٩) انظر : سيرة ابن هشام ٨٤٤/٣ . وسيرة ابن حبان ص ٢٢٢ .

(١٠) سبل الهدى والرشاد ١٩١/٤ .وشرح الزرقاني ٢٧/٢ .وعند الواقدي وابن سعد :وجعلوا على الخيل صفوان بن أمية .

ودفع أبو سفيان اللواء إلى طلحة بن أبي طلحة العبدري وقال : يا بني عبد الدار إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه ، فغضبوا وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا ؟! ستعلم إذا التقينا كيف نصنع[١] .

ونجح أبو سفيان في بث الحمية في حملة اللواء من بني عبد الدار ، ثم حاول إيقاع الفرقة بين المسلمين ، فأرسل رجلاً إلى الأنصار فقال لهم : يا معشر الأوس والخزرج خلوا بيننا وبين ابن عمنا ننصرف عنكم فإنه لا حاجة لنا بقتالكم ، فرد عليه الأنصار رداً عنيفاً[٢] . ثُم تقدم عبد عمرو بن صيفي أبو عامر وكان في الجاهلية يلقب بالراهب ، وعندما هاجر النبي ﷺ جاهره بالعداء ، وخرج إلى مكة في خمسين من أتباعه يؤلبهم على رسول الله ﷺ ويحضهم على قتاله ، فسماه النبي ﷺ بالفاسق ، اقترب من المسلمين ليخذّل الأوسيين عن رسول الله ﷺ ، ونادى : يا معشر الأوس : أنا أبو عامر ، قالوا : فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق ، فقال : لقد أصاب قومي بعدي شر[٣] ؛ ثم زحف الجمعان ودنا بعضهم من بعض ، وقامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها يضربن بالدفوف خلف الرجال ويحرضنهم على القتال ، ثم برزن أمام حملة لواء المشركين وهنَّ ينشدن :

ويهاً بني عبد الدار ويهاً حماة الأدبار ضرباً بكل بتار[٤]

وأثار هذا التحريض المشركين ، وتقدم حامل اللواء طلحة بن أبي طلحة العبدري - وكان يُسمَّى كبش الكتيبة - يطلب المبارزة ، فخرج له علي بن أبي طالب فقتله[٥] ، فكبَّر رسول الله ﷺ وكبَّر المسلمون ، ثم حمل اللواء أخوه عثمان بن أبي طلحة وتقدم للقتال وهو يقول :

إنّ على أهل اللواء حقاً أن تُخْضَبَ الصعدةُ[٦] أو تندقا[٧]

---

(١) المغازي للواقدي ٢٢١/١ وسيرة ابن هشام ٨٤٦/٣ . وابن حبان ص٢٢٢ .

(٢) انظر : تاريخ الطبري ٥١١/٢ .

(٣) انظر : المغازي للواقدي ٢٢٣/١سيرة ابن هشام ٨٤٥/٣ . والطبري٥١٢/٢ . وعيون الأثر ٤١٣/١ .

(٤) سيرة ابن هشام ٨٤٦/٣ . وعيون الأثر ٤١٤/١ .

(٥) المغازي للواقدي ٢٢٦/١سيرة ابن هشام ٨٥٢/٣ .وطبقات ابن سعد ٤٠/٢ .وابن حبان ص٢٢٣ .والزرقاني ٣٠/٢ .
وقيل : قتله سعد بن أبي وقاص . انظر : ابن هشام ٨٥٢/٣ . والطبري٥٠٩/٢ .

(٦) الصعدة : القناة المستوية ، القاموس مادة : (صعد) .

(٧) تندق : أي تنكسر أو تتهشم ، القاموس مادة (دقق) .

فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب فقتله[١] ، وتحركت الصفوف المتقابلة وبدأت المعركة ، واشتد ثقلها حول لواء المشركين ، الذي حمله بعد عثمان أبو سعد بن أبي طلحة فقتله سعد بن أبي وقاص[٢] ، ثم حمله مسافع بن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح بسهم فقتله[٣] ، ثم حمله الحارث بن طلحة فرماه عاصم أيضاً فقتله ، فحمل اللواء أخوه كلاب فانقض عليه الزبير بن العوام فقتله ، فحمله أخوه الجلاس فها جمه طلحة بن عبيد الله وطعنه طعنة أودت بحياته ، ثم حمله أرطأة بن شرحبيل فقتله علي ، ثم حمله شريح بن قارظ ، فقتله أحد المسلمين ، فحمله غلام لهم حبشي يقال له صُؤَاب فقُتل أيضاً[٤] ، وسقط لواء المشركين على الأرض ولم يجرؤ أحد على حمله ، واندفع حمزة بن عبد المطلب وأبو دجانة وغيرهما من أبطال المسلمين إلى قلب جيش المشركين وهم يهتفون كلمة السر « أمت أمت »[٥] ، وحاول خالد بن الوليد وفرسانه اقتحام الجناح الأيسر لجيش المسلمين فأمطرهم الرماة من جبل عينين بوابل من السهام فارتدوا ، ثم كرروا محاولتهم مرات أخرى ففشلوا[٦] ، وتضعضعت صفوف المشركين ، وبدأوا بالتراجع والتفرق ، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ، ووصلوا إلى خيامهم ، قال ابن إسحاق : (وأنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده ، فحسوهم بالسيوف وكشفوهم عن المعسكر وكانت الهزيمة لا شك فيها)[٧] .

---

(١) المغازي للواقدي ٢٢٦/١ وسيرة ابن هشام ٨٥٣/٣ . وطبقات ابن سعد ٤١/٢ . والزرقاني ٣١/٢ .

(٢) المغازي للواقدي ٢٢٧/١ . سيرة ابن إسحاق ٢٠/٣ ، وقيل: إن الذي قتله هو علي .

(٣) المغازي للواقدي ٢٢٧/١-٢٢٨سيرة ابن هشام ٨٥٢/٣ . والطبري ٥١٧/٢ . وطبقات ابن سعد ٤١/٢ .

(٤) عيون الأثر٤١٥/١ . وطبقات ابن سعد ٤١/٢ . والزرقاني ٣١/٢ . وفي تحديد أسماء قاتلي بعض حملة لواء المشركين خلاف يسير بين أهل السير. انظر : المغازي للواقدي ٢٢٩/١ ابن هشام ٨٥٢/٣ . والطبري ٥١٧/٢ .

(٥) سيرة ابن هشام ٨٤٦/٣ . ومسند الإمام أحمد ٤٦/٤ ، والمستدرك للحاكم ١٠٧/٢ ، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٦) المغازي للواقدي ٢٢٩/١ ، والطبري ٥١٠/٢ . ودلائل النبوة للبيهقي ٢١٠/٣ .

(٧) سيرة ابن هشام ٨٥٧/٣ .

وتوزع المسلمون خلف المشركين ، الذين بدأوا يتخففون من دروعهم وأسلحتهم لينجوا بأنفسهم ، فأخذ بعض المسلمين يجمعونها غنائم حرب ، ودخل بعضهم مضارب المشركين يغتنمون ما فيها ، وابتعدوا عن موقع الالتحام الأول ، ورأى الرماة الواقفون على الجبل ما يجري فظنوا أن المعركة حُسمت ، ودعا بعضهم للنزول من الجبل والمشاركة في جمع الغنائم ، وذكَّرهم قائدهم عبد الله بن جبير بأمر رسول الله ﷺ لهم أن لا يتركوا مواقعهم حتى يُبَلِّغهم فلم يستجيبوا له لاعتقادهم بأن المعركة انتهت ، ونزلوا من الجبل وانطلقوا خلف المشركين المشتتين عدا عشرة منهم ثبتوا مع قائدهم[١] .

ورأى خالد بن الوليد ، وكان غير بعيد عن المكان نزول الرماة وتوزع المسلمين خلف المشركين فانتهز الفرصة وانطلق بفرسانه ، وتبعه عكرمة ، وكر على الرماة الباقين مع قائدهم ، فقاوموه بشدة ، ولكن قلة عددهم وكثرة عدد الفرسان والمفاجاة غير المتوقعة جعلتهم يسقطون واحداً بعد الآخر حتى استشهدوا جميعهم[٢] ، وأصبح خالد وفرسانه في ظهور المسلمين وهجموا عليهم من خلفهم ، وعلت أصواتهم يدعون بقية المشركين للثبات والتجمع وقتال المسلمين .

ورأى المشركون المنهزمون التطور الجديد فانقلبوا نحو المسلمين ، وأسرعت عمرة بنت علقمة الحارثية إلى اللواء فرفعته فالتفوا حوله[٣] وشدوا على المسلمين من الأمام ومن الخلف ، وحمل ابن قمئة على مصعب بن عمير حامل لواء المهاجرين فقتله ، وكانت طلعة مصعب شبيهة بطلعة النبي ﷺ ، وخاصة إذا لبس السلاح ، فظن أنه قد قتل النبي ﷺ فصاح بأعلى صوته « لقد قتلت محمداً »[٤] وارتاع الصحابة الذين سمعوا صوته لهذا الخبر فانطلق بعضهم هائماً على وجهه ، وصعد بعضهم الجبل ، وأسقط في أيدي طائفة أخرى ، لا يدرون ما يفعلون ،

---

(١) المغازي للواقدي ٢٢٩/١-٢٣٠ ، وطبقات ابن سعد ٤٧٥/٣ . وعيون الأثر ٤١٦/١ . وأصله في البخاري ١٤٨٦/٤ .

(٢) المغازي للواقدي ٢٣٢/١ وابن سعد ٤٧٥/٣. . عيون الأثر ٤١٦/١ .

(٣) سيرة ابن هشام ٨٥٧/٣ . والطبري٢/٥١٠-٥١٣ . والزرقاني ٣١/٢ . وعيون الأثر ٤١٦/١ .

(٤) سيرة ابن هشام ٨٥١/٣ . وعيون الأثر ٤١٥/١ .

وأخذ بعضهم يقاتل كل من يواجهه ، فأصابوا بعض المسلمين خطأ ، ورأى حذيفة بن اليمان أباه يقتل خطأً بسيوف المسلمين ولم يستطع تداركه[١] .

وثبتت طائفة من المسلمين[٢] وقالوا : يا قوم إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل ، وكان منهم أنس بن النضر ﷺ الذي قال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني بعض المسلمين - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني لأَجد ريحها من دون أحد ، وقاتل ببسالة حتى استشهد . قال أنس : فوجدنا في جسده بعد المعركة بضعاً وثمانين ما بين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بالسهم[٣] .

ونادى ثابت بن الدحداحة قومه قائلاً : يامعشر الأنصار إن كان محمد قد قتل فإن الله حي لا يموت ، قاتلوا عن دينكم فإن الله مظفركم وناصركم[٤] ، ومر رجل من المهاجرين على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه ، فقال: له يا فلان أشعرت أن محمد ﷺ قد قتل ؟ فقال الأنصاري : إن كان محمد قد قتل فقد بَلَّغ فقاتلوا عن دينكم[٥] .

وكان لهذه المواقف العظيمة أكبر الأثر في رفع الروح المعنوية للمسلمين الذين ثبتوا وقاتلوا ببسالة[٦] ، وقتلوا عدداً من المشركين ، وسقط عدد منهم شهداء ، وأخذ وحشي الذي وعده سيده بالعتق يبحث عن حمزة ، فرآه - كما رَوى فيما بعد - يَهدُّ الناس بسيفه ، وانتهز فرصة انشغاله بقتال أحد المشركين ورماه بحربة اخترقت أحشاءه ، واتجه إليه حمزة ليقتله ، لكن إصابته البليغة أثخنته ، فسقط شهيداً .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة أحد ١٤٩١/٤ .

(٢) الطبري٤٧٥/٢-٥١٤ .ودلائل النبوة للبيهقي٢١٠/٣ .وفتح الباري لابن حجر٣٦٢/٧ .والتاريخ السياسي ص٢٨٩ .

(٣) البخاري ، كتاب الجهاد ، باب قوله تعالى : (من المؤمنين رجال ...) ٢٣/٤ . ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد ١٥١٢/٣ .

(٤) المغازي للواقدي ٢٨١/١ .

(٥) دلائل النبوة للبيهقي ٢٤٨/٣ .

(٦) فتح الباري٣٦٢/٧ .

أما النبي ﷺ فكان في طرف الجيش يراقب مطاردة المسلمين للمشركين ، وكان معه عدد قليل من الصحابة ، وفوجئوا بهجوم الفرسان[١] ، وهنا تجلت شجاعته ﷺ وثباته ، فقد رفع صوته ينادى أصحابه ويقول : « إليَّ يا فلان أنا رسول الله »[٢] .

وسمع بعض المشركين نداء رسول الله ﷺ فاتجهوا إليه ، ودارت حوله معركة طاحنة تفانى فيها الصحابة في الدفاع عن رسول الله ﷺ ؛ روى النسائي بسنده عن جابر بن عبد الله قال : (لما كان يوم أحد وولى الناس كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلاً من الأنصار فيهم طلحة بن عبيد الله ، فأدركه المشركون ، فالتفت رسول الله ﷺ وقال : من للقوم ؟ فقال طلحة : أنا ، قال رسول الله ﷺ : كما أنت ، فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله ، فقال : أنت ، فقاتل حتى قتل ، ثم التفت فإذا المشركون ، فقال : من للقوم ، فقال طلحة : أنا ، قال : كما أنت ، فقال رجل من الأنصار : أنا ، فقال : أنت ، فقاتل حتى قتل ، ثم لم يزل يقول ذلك ويخرج إليه رجل من الأنصار فيقاتل قتال من قبله حتى يقتل ، حتى بقي رسول الله ﷺ وطلحة بن عبيد الله ، فقال رسول الله ﷺ : « من للقوم ؟ » ، فقال طلحة : أنا ، فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى ضربت يده فقطعت أصابعه[٣] ، وغشيته الجراح ، ونزف منه الدم) ، وبقي رسول الله ﷺ يقاتلهم وحده . وكانت ساعة صعبة في حياة الرسول ﷺ . لكن المدد الإلهي لا ينقطع عن نبيه ﷺ ، فقد روى الشيخان في صحيحيهما عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال : « رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال ، ما رأيتهما قبل ولا بعد » وعند مسلم « يعني : جبريل وميكائيل » .

ورغم هذا التفاني والدفاع المستميت من هؤلاء الصحابة عن رسول الله ﷺ فإن بعض المشركين وصلوا إليه ، فرماه عتبة بن أبي وقاص بالحجارة فوقع لشقه ، وأصيبت رباعيته ، واندفع إليه عبد الله بن شهاب الزهري فشجه في جبهته ، وجاء ابن قمئة فضربه على عاتقه بالسيف ضربة عنيفة ، إلا أنه لم يتمكن من هتك الدرعين ، ثم ضربه على وجنته ﷺ فدخلت حلقتان من حلق

---

(١) البخاري ، كتاب الجهاد والسير ٨٠/٤ . ومسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة أحد ١٤١٥/٣ .

(٢) المغازي للواقدي ٢٣٧/١ . سبل الهدى والرشاد ١٩٤/٤ .

(٣) النسائي ، كتاب الجهاد ، باب مايقوله من يطعنه العدو ٢٩/٦ . وعند مسلم أنهم كانوا سبعة من الأنصار واثنين من المهاجرين . صحيح مسلم ١٤١٥/٣ ، كتاب المغازي باب غزوة أحد .

المغفر في وجنته الشريفة ، وقال خذها وأنا ابن قمئة[١] ؛ فقال له رسول الله ﷺ وهو يمسح الدم عن وجهه الشريف : أقمأك الله[٢] .

ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر الفاسق ليقع فيها المسلمون ، فأخذ علي بيده ، ورفعه طلحة حتى استوى قائمًا ، ومص مالك بن سنان الدم عن وجهه الشريف[٣] ، ورغم هذا الضغط الشديد على رسول الله ﷺ إلا أنه بقي ثابتًا لا يتزعزع .

روى البيهقي عن المقداد بن الأسود ﷺ أنه قال : فأوجبوا والله قتلاً ونالوا من رسول الله ﷺ ما نالوا ، ألا والذي بعثه بالحق إن زال رسول الله ﷺ شبراً واحداً وإنه لفي وجه العدو ، ويفيء إليه طائفة من أصحابة مرة ، وتفترق مرة أخرى[٤] ، وقع كل هذا بسرعة كبيرة قبل أن يصل إليه الصحابة ، وكان أول من وصل إلى النبي ﷺ أبو بكر الصديق ، وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما ، كما روى ذلك الحاكم وغيره عن عائشة رضي الله عنها عن أبيها أبي بكر الصديق قال: « لما جال الناس على رسول الله ﷺ يوم أحد كنت أول من فاء إلى رسول الله ﷺ فبصرت به من بعد فإذا برجل قد اعتنقني من خلفي مثل الطير يريد رسول الله ﷺ فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح وإذا أنا برجل يرفعه مرة ويضعه أخرى فقلت : أما إذا أخطأني لأن أكون أنا هو مع رسول الله ﷺ ويجيء طلحة فذاك أنا وأمر فانتهينا إليه فإذا طلحة يرفعه مرة ويضعه أخرى وإذا بطلحة ست وستون جراحة وقد قطعت إحداهن أكحله فإذا رسول الله ﷺ قد ضرب على وجنتيه فلزقت حلقتان من حلق المغفر في وجنتيه فلما رأى أبو عبيدة رسول الله ﷺ ناشدني الله لما أن خليت بيني وبين رسول الله ﷺ فانتزع إحداهما بثنيته فمدها فندرت وندرت ثنيته ثم نظر إلى الأخرى فناشدني الله لما أن خليت بيني

---

(١) المغازي للواقدي ٢٤٤-٢٤٥ .

(٢) فسلط الله عليه تيسًا فنطحه فأرداه من شاهقة الجبل فتقطع . عيون الأثر ٤١٨/١ . وانظر أيضًا : المغازي للواقدي ٢٤٦/١ ومجمع الزوائد ١١/٦ .

(٣) المغازي للواقدي ٢٤٤/١-٢٤٧ وسيرة ابن هشام ٨٦٠/٣ . وعيون الأثر ٤١٨/١ . ومجمع الزوائد ١١٧/٦ . . وأصله عند البخاري ، كتاب المغازي ، باب ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الجراح في أحد ١٨٠٢/٤ .

(٤) دلائل النبوة للبيهقي ٢٦٤/٣ .

وبين رسول الله ﷺ فانتهزها بالثنية الأخرى فمدها فندرت وندرت ثنيته فكان أبو عبيدة أثرم الثنايا »[١] .

وفي وقت قصير تجمع حول النبي ﷺ عدد من الصحابة ، منهم عمر بن الخطاب ، وأبو طلحة ، وعلي بن أبي طالب ، والمقداد بن الأسود ، ومالك بن سنان ، وسعد بن أبي وقاص ، وزيد بن سهل ، وأسيد بن حضير ، وسعد بن معاذ ، ومحمد بن مسلمة ، وأبو دجانة ، وعبد الله بن مسعود ، وسهل بن حنيف ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، والحارث بن الصمة ، والحباب بن المنذر ، وعاصم بن ثابت ، ونسيبة بنت كعب[٢] ؛ وفي الوقت نفسه وصلت أعداد أخرى من المشركين يطمعون في النيل من رسول الله ﷺ ؛ فدارت معركة ضروس ضرب فيها هؤلاء الصحابة أروع الأمثلة في التضحية والفداء ؛ فقد أقاموا من أنفسهم سوراً ترّسوا فيه عن رسول الله ﷺ ولم يمكنوا المشركين من الخلوص إليه ؛ ووقف أبو دجانة أمام النبي ﷺ وترَّس عليه بظهره ، فكانت النبل تقع عليه وهو لا يتحرك حتى امتلأت ظهره سهاماً[٣] ، وجلس أبو طلحة الأنصاري بين يديه ﷺ ووضع ترسه أمامه يقيه بها ، وجعل يرمي القوم ، وكان رامياً شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً ، وكان الرجل يمر معه جعبة من النبل فيقول النبي ﷺ: انثرها لأبي طلحة ، قال : ويشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم ، فيقول أبو طلحة : بأبي أنت وأمي لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك[٤] ، وجلس سعد بن أبي وقاص بين يدي رسول الله ﷺ أيضاً يرمي بالسهام ويقول : اللهم سهمك فارم به عدوك ، ورسول الله ﷺ يقول : اللهم استجب لسعد ، اللهم سدد لسعد رميته ، إِيْهاً سعد فداك أبي وأمي[٥] ، وقاتل عبد الرحمن بن عوف

---

(١) المستدرك للحاكم ٣/ ٢٩ وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ويقال : (إن الذي نزع الحلقتين عقبة بن وهب بن كلدة ويقال : أبو اليسر ، قال الواقدي : وأثبت ذلك عندنا عقبة بن وهب ، المغازي ٢٤٧/١ .

(٢) الواقدي ٢٤٠/١ . والزرقاني ٣٥/٢ . وسبل الهدى والرشاد ١٩٧/٤ .

(٣) ابن هشام ٨٢/٢ .

(٤) البخاري ، كتاب المغازي ، باب : (إذ همت طائفتان) ١٢٥/٥ ، وكتاب الجهاد والسير ، باب المحبة ٤٦/٤ . ومسند أحمد ٢٨٦/٣ .

(٥) سبل الهدى ٢٠٠/٤ ، وأصل الحديث في البخاري ١٢٤/٥ كتاب المغازي باب [إذ همت طائفتان منكم . . .] ومسلم ١٨٧٦/٤ كتاب فضائل الصحابة باب في فضل سعد بن أبي وقاص .

قتالاً شديداً حتى جرح قريباً من سبعين جرحاً[١] ، وقاتل شماس بن عثمان بين يدي رسول الله ﷺ ، فكان رسول الله ﷺ لا يرمي ببصره يميناً ولا شمالاً إلاّ رأى شماساً في ذلك الوجه يضرب بسيفه حتى استشهد[٢] ؛ وجعل سهل بن حنيف ينضح بالنبل ورسول الله ﷺ يقول : نبلوا سهلاً فإنه سهل[٣] ، ورأت نسيبة بنت كعب أم عمارة وكانت في نسوة خلف الجيش يداوين الجرحى ويسقين العطشى ، تطور الموقف واشتداد الضغط على رسول الله ﷺ فحملت السيف وصارت تقاتل بين يديه[٤] ، وثبت قتادة بن النعمان بين يدي رسول الله ﷺ وأصيبت عينه حتى وقعت على وجنته فردها رسول ﷺ بيده الشريفة فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما[٥] .

وهكذا دافعت هذه الثلة المؤمنة عن رسول الله ﷺ ، وأبعدت المشركين عن الموقع الذي كان فيه ، ثم انحازت به ﷺ نحو الشعب في جبل أحد ليحتموا به[٦] ، وكان عنده عدد من المسلمين الذين تركوا ميدان المعركة وهم يحسبون أن رسول الله ﷺ قد قتل ، وكان أول من عرفه كعب بن مالك قال : عرفت عينيه الشريفتين تزهران من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ ، فأشار إليَّ أن أنصت[٧] ، ولما قارب الشعب لحقه أُبَيّ بن خلف وهو يقول : أين محمد؟ لا نجوت إن نجا ، فقال القوم : يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا ؟ ؛ فقال ﷺ : دعوه ، فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة ، ثم استقبله فطعنه في عنقه فسقط عن فرسه[٨] ، فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور ، فقالوا له : ما أعجزك إنما هو خدش ، فذكر لهم قول

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٢٦٣/٣ .

(٢) المغازي للواقدي ٥٤ /٢/١ وطبقات ابن سعد ٢٤٥/٣

(٣) المغازي للواقدي ٢٥٣/١ وطبقات ابن سعد ٤٧١/٣ .

(٤) المغازي للواقدي ٢٦٨/١-٢٦٩وطبقات ابن سعد ٤١٣/٨-٤١٤ .

(٥) المغازي للواقدي ٢٤٢/١المستدرك ٢٩٥/٣ . ودلائل .النبوة .للبيهقي ٢٥٣/٣ . وعيون .الأثر ٤١٩/١ . ومجمع الزوائد ١١٣/٦ .

(٦) عيون الأثر ٤٢٠/١ .

(٧) طبقات ابن سعد ٤٥/٢و٤٦/٢ . وانظر مجمع الزوائد ١١٢/٦ .

(٨) المغازي للواقدي ٢٥١/١ والطبري ٥١٨/٢ . وعيون الأثر ٤٢٠/١ .

رسول الله ﷺ : بل أنا أقتل أبياً ، ثم قال : والذي نفسي بيده ، لو كان هذا الذي بي بأهل المجاز لماتوا أجمعين ، فمات قبل أن يصل مكة[١] ، ونهض رسول الله ﷺ إلى صخرة في فم الشعب ليعلوها ، وقد كان بدن وظاهر بين درعين ؛ فلم يستطع أن يرقاها ، فجلس طلحة بن عبيد الله تحته ونهض به حتى استوى عليها وبشره بالجنة[٢] .

وا ندفعت مجمو عة من المشركين منهم أ بو سفيان وخا لد بن الولي د إلى الجبل ، فقال رسول الله ﷺ: اللهم إنه لاينبغي لهم أن يعلونا ، فتصدى لهم عمر بن الخطاب في جما عة من المهاجرين فردوهم[٣] ، و كان هذا آ خر هجوم قام به المشركون ، ولما لم يكونوا يعرفون عن مصير النبي ﷺ شيئاً - بل كانوا على شبه ا ليقين من قتله - رجعوا إلى مقرهم ، وأ خذ بعضهم يتشفى من شهداء المسلمين ويمثلون بجثثهم ، وكان أسد الله حمزة أكثر الشهداء تمثيلاً به لشدة ما لاقوه منه في بدر وأحد ، فقد بُقرت بطنه ، واستخرجت هند بنت عتبة كبده ولاكتها ولم تستطع أن تستسيغها فلفظتها[٤] .

وأنزل الله على المؤمنين النعاس أمنة منه ، روى الترمذي عن أبي طلحة قال : (رفعت رأسي يوم أحد فجعلت أنظر وما منهم يومئذ أحدٌ إلاّ يَميدُ تحت حجفته من النعاس فذلك قوله عز وجل : ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً ﴾[٥] ؛ فكان في هذا النعاس سكينة للمسلمين وراحة .

وتجمع المشركون بعد أن خلت ساحة المعركة يتهيئون للرحيل ، وعاد أبو سفيان ومعه بعض المشركين إلى الجبل قرب الشعب ونادى من على صخرة : أفي القوم محمد ؟ فقال ﷺ لا تجيبوه ، فنادى : أفي القوم ا بن أ بي قحا فة ؟ فقال ﷺ : لا تجيبوه ، فنادى: أفي القوم ابن الخطاب ؟ فلم يجبه أ حد ، قال : إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا ، فلم يملك عمر نفسه فنادى : كذبت يا عدو الله أبقى

---

(١) المغازي للواقدي ٢٥١/١-٢٥٢ والمستدرك ٣٢٧/٢ . وعيون الأثر ٤٢٠/١ .

(٢) المستدرك على الصحيحين ج٢٨/٣ ، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وعيون الأثر ٤٢١/٢ .

(٣) المغازي للواقدي ٢٩٥/١الطبري ٥٢١/٢ . وعيون الأثر ٤٢١/١ .

(٤) المغازي للواقدي ٢٨٦/١ مسند الإمام أحمد ٤٦٣/١ . وطبقات ابن سعد ١٠/٣ .

(٥) الترمذي ، كتاب تفسير القران ، باب سورة آل عمران ٢٢٩/٥ ، وقال: حديث حسن صحيح .

الله عليك ما يخزيك ، ثم قال أبو سفيان : أعل هبل ، فقال ﷺ: أجيبوه ، قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : الله أعلى وأجل . قال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم ؛ فقال النبي ﷺ: أجيبوه . قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم . ثم قال أبو سفيان :يوم بيوم بدر ، والحرب سجال ، وتجدون مُثْلَة لم آمر بها ولم تسؤني[١] ، فأجابه عمر : لا سواء ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار . ثم قال أبو سفيان : هلم إليّ يا عمر ، فقال رسول الله ﷺ لعمر : ائته فانظر ما شأنه ؛ فأشرف عليه فقال له أبو سفيان : أنشدك بالله يا عمر أقتلنا محمدًا ؟ قال عمر : اللهم لا وإنه ليسمع كلامك الآن ، قال : أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر[٢] ، وقبل أن ينصرف ومَنْ معه نادى : إن موعدكم بدر للعام القابل ، فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه : « قل : نعم هو بيننا وبينكم موعد »[٣] .

وبعد قليل أرسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب في آثارهم ، وقال له : انظر ماذا يصنعون ، وماذا يريدون ، فإن كانوا جَنَّبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة ، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم ؛ قال علي : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون ، فجَنَّبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة[٤] .

ثم إن علياً ﷺ خرج إلى أَحد المهاريس التي في أُحد فملأ تِرسه ماءً وجاء به إلى النبي ﷺ[٥] فجعل يسكب الماء وفاطمة تغسل جرح رسول الله ﷺ ، فلما رأت أن الماء لا يزيده إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم[٦] .

---

(١) البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة أحد ١٢١/٥ .

(٢) عيون الأثر ٤٢٥/١ .

(٣) المغازي للواقدي ٢٩٧/١ . وعيون الأثر ٤٢٥/١ . وطبقات ابن سعد ٥٩/٢ .

(٤) الطبري ٥٢٨/٢ . وعيون الأثر ٤٢٥/١ . وفي المغازي للواقدي ٢٩٨/١ ودلائل النبوة للبيهقي ٢١٣/٣ أنه ﷺ أرسل سعد بن أبي وقاص .

(٥) عيون الأثر٤٢٠/١ .

(٦) البخاري ، كتاب المغازي ، باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد ١٣٠/٥ . ومسلم ١٤١٦/٣ باب غزوة أحد ، وانظر دلائل النبوة البيهقي ٢١٤/٣ .

وتفرغ الناس لقتلاهم وأرسل رسول الله ﷺ زيد بن ثابت[١] ليأتيه بخبر سعد بن الربيع وقال له : إن رأيته فأقرئه مني السلام وقل له : يقول لك رسول الله كيف تجدك ، قال زيد : فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته وهو في آخر رمق وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم ، فقلت له : يا سعد إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول لك خبرني كيف تجدك ؟ ، قال : وعلى رسول الله السلام وعليك السلام ، قل له : يا رسول الله أجدني أجد ريح الجنة ، وقل لقومي الأنصار : لا عذر لكم عند الله أن يُخلص إلى رسول الله وفيكم شُفر يطرف . قال : وفاضت نفسه رحمه الله[٢] .

وفقد رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب فلم يجده حين فاء الناس من القتال ، فقال رجل : رأيته عند تلك الشجرة وهو يقول : أنا أسد الله وأسد رسول الله اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - لأبي سفيان وأصحابه - وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء - من انهزامهم - فسار رسول الله ﷺ نحوه ، فلما رأى جبهته بكى ، ولما رأى ما مُثِّل به شهق ثم قال : « سيد الشهداء عند الله تعالى يوم القيامة حمزة »[٣] ، وقال : « رحمة الله عليك قد كنت وصولاً للرحم فعولاً للخيرات ولولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أدعك حتى تجيء من أفواه شتى » ، ثم حلف : « والله لأُمَثِّلَن بسبعين منهم مكانك » ؛ فنزل القرآن بعدئذ : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ إلى آخر السورة ، فكفَّر رسول الله ﷺ عن يمينه ، وأمسك عما أراد[٤] .

وتفقد النبي ﷺ والصحابةُ بقيةَ الشهداء ، وكان من بينهم حنظلة بن أبي عامر وجدوه والماء يقطر منه ، فقال رسول الله ﷺ : إن صاحبكم لتغسله الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه ؟ فسألوا امرأته فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهاتف ، فقال ﷺ : لذلك غسلته الملائكة[٥] ، فلقب بغسيل الملائكة .

---

(١) ذكره الحاكم ٢٠١/٣ . وعند ابن عبد البر : أبي بن كعب . وعند الواقدي : محمد بن مسلمة ويقال : أبي بن كعب . انظر شرح الزرقاني ٤٩/٢ .

(٢) المستدرك ٢٠١/٣ . وقريب منه عند الواقدي ٢٩٢/١-٢٩٣ وابن سعد ٥٢٣/٣ .

(٣) المستدرك ١٩٩/٣ ، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٤) طبقات ابن سعد ١٣/٣ . والمستدرك ١٩٧/٣ . وعيون الأثر ٤٢٦/١ .

(٥) المغازي للواقدي ٢٧٤/١ . والمستدرك ٢٠٤/٣ . ودلائل النبوة لأبي نعيم ٦٢٣/٢ . وعيون الأثر ٣٠/١ .

ووجدوا بين الشهداء رجلاً من يهود بني ثعلبة ، يدعى مخيريق ، قد خرج يوم أحد وقال : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال: لا سبت لكم ، فأخذ سيفه وعدته وقال : إن أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء ، ثم لحق برسول الله ﷺ فقاتل معه حتى قتل ، فقال رسول الله ﷺ: « مخيريق خير يهود »[١] .

ووجدوا في الجرحى عمرو بن ثابت الأصيرم ، وبه رمق يسير ، وكانوا من قبل يعرضون عليه الإسلام فيأباه ، فقالوا : إن هذا الأصيرم ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الأمر ، ثم سألوه ما الذي جاء بك ؟ أحدب على قومك أم رغبة في الإسلام ؟ فقال : بل رغبة في الإسلام ، آمنت بالله ورسوله ، ثم قاتلت مع رسول الله ﷺ حتى أصابني ما ترون ، ومات من وقته ، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال : هو من أهل الجنة ، قال أبو هريرة : ولم يصل لله قط[٢] .

ووجدوا في الجرحى رجلاً يقال له قزمان ، وكان ذا بأس ، وكان ﷺ إذا ذُكر له يقول : هو من أهل النار ، فلما كان يوم أحد قاتل قتالاً شديداً وقتل وحده ثمانية من المشركين ، فأثبتته الجراحة ، فاحتملوه إلى دار بني ظفر ، وجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر ، قال بماذا أبشر ؟ فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت ، فلما اشتدت عليه الجراح أخذ سهماً من كنانته فقتل نفسه[٣] .

ولما انتهى النبي ﷺ من تفقد الشهداء أمر بنزع الجلود والحديد عنهم ، وكانوا سبعين شهيداً ، على أشهر الأقوال ، منهم أربعة من المهاجرين ، وقيل : ستة ، والباقي من الأنصار[٤] وأمر بدفنهم في مصارعهم وقال : « أنا شهيد على هؤلاء ، كفنوهم بدمائهم فإنه ليس جريح يجرح في الله إلا جاء يوم القيامة يدمي ، لونه لون الدم وريحه ريح المسك ، قدموا أكثرهم قرآناً فاجعلوه في اللحد »[٥] ، فكانوا

(١) ابن هشام ٣٨/٣ ، وطبقات ابن سعد ٥٠١/١ . والطبري ٥٣١/٢ .
(٢) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب فيمن يسلم ويقتل مكانه في سبيل الله ٤٣/٣ . وعيون الأثر ٤٢٣/١ .
(٣) سيرة ابن هشام ٨٥/٣ والطبري ٥٣١/٢ .وقريب منه عند الواقدي ٢٢٤/١ .
(٤) انظر اختلاف العلماء في عدد الشهداء في فتح الباري ٣٧٥/٧ والزرقاني ٣٦/٢ .
(٥) سيرة ابن هشام ٨٧٩/٣ . وعيون الأثر ٤٢٧/١ . وابن كثير ٨٤/٣ .

يدفنون الاثنين والثلاثة في قبر واحد[١] ، وروى ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ قال حين أمر بدفن القتلى : « انظروا عمرو بن الجموح وعبد الله بن حرام فإنهما كانا متصافيين في الدنيا فاجعلوهما في قبر واحد »[٢] فدفنا في قبر واحد وكفنا في نمرة واحدة .

ولما مر النبي ﷺ بمصعب بن عمير وقف عليه ودعا له وقرأ : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾[٣] ، ثم قال : « لقد رأيتك بمكة وما بها أحد أرق حلة ولا أحسن لمة منك »[٤] ، ولما أرادوا دفنه لم يجدوا عنده إلا نمرة إذا غطوا بها رأسه خرجت رجلاه ، وإذا غطوا بها رجليه خرج رأسه ؛ فقال ﷺ : « غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه من الإذخر »[٥] .

ولما فرغ ﷺ من دفن الشهداء ركب فرسه متوجهاً إلى المدينة ، والمسلمون حوله ، فلما كانوا بأصل أحد قال : اصطفوا حتى أثني على ربي عز وجل ، فاصطف الرجال خلفه ثم النساء ، ثم قال : « اللهم لك الحمد كله اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما باعدت ، ولا مباعد لما قربت ، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك ، اللهم إنا نسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول ، اللهم إنا نسألك النعيم يوم القيامة ، والأمن يوم الخوف ، اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا ، وشر ما منعت ، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين ، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين ، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك ، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق »[٦] .

---

(١) ابن كثير ٣/٨٤ .
(٢) سيرة ابن هشام ٣/٨٧٩ . والطبري ٢/٥٣٢ .
(٣) المستدرك للحاكم ٣/٢٠٠ وصححه .
(٤) طبقات ابن سعد ٣/١٢٢ .
(٥) البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة أحد ٥/١٢١ .
(٦) مسند الإمام أحمد ٣/٤٢٤ . والحاكم ١/٥٠٦ . وسبل الهدى والرشاد ٤/٢٢٧ . وسيرة ابن كثير ٣/٧٧ .

ولما وصل ﷺ مشارف المدينة لقيته حمنة بنت جحش رضي الله عنها ، فنعى لها النبي ﷺ أخاها عبد الله فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير ، فصاحت وولولت ، فقال ﷺ : « إن زوج المرأة منها لبمكان »[١] ، ومر بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها فلما نُعُوا لها قالت : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه أنظر إليه قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل (تريد صغيرة)[٢] ، وجاءت أم سعد بن معاذ تعدو نحو رسول الله ﷺ وهو على فرسه ، وسعد آخذ بلجامها ، فقال سعد : يا رسول الله أمي ، فقال ﷺ : مرحباً بها ووقف لها ، فدنت حتى تأملت رسول الله ﷺ فعزاها رسول الله ﷺ بابنها عمرو بن معاذ ، فقالت : أما إذ رأيتك سالماً فقد اشتويتُ المصيبة - أي استقللتها - ، فقال رسول الله ﷺ : يا أم سعد أبشري وبشري أهلهم : إن قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعاً وقد شفعوا في أهلهم جميعاً ، قالت : رضينا يا رسول الله ، ومن يبكي عليهم بعد هذا ؟! ثم قالت : يا رسول الله ادع لمن خُلّفوا ؛ فقال : « اللهم أذهب حزن قلوبهم ، واجبر مصيبتهم ، وأحسن الخلف على من خلفوا »[٣] .

ثم تابع النبي ﷺ سيره نحو بيته وفي الطريق سمع نساء الأنصار يبكين على شهدائهن ، فذرفت عيناه ، وقال : « لكن حمزة لا بواكي له »[٤] ، ثم دخل بيته متكئاً على سعد بن معاذ وسعد بن عبادة[٥] ، ثم ناول سيفه ابنته فاطمة وقال : اغسلي عن هذا دمه فوالله لقد صدقني اليوم ، وناولها علي سيفه فقال :

---

(١) سيرة ابن هشام ٨٨٠/٣ . والطبري ٥٣٣/٢ . وابن كثير ٩٣/٣ . والخبر في المستدرك ٦٢/٤ ، وفي سنن ابن ماجه ٥٠٧/١ كتاب الجنائز - باب ما جاء في البكاء على الميت .

(٢) سيرة ابن هشام ٨٨١/٣ . والطبري ٥٣٣/٢ .

(٣) سبل الهدى والرشاد ٢٢٩/٤ .

(٤) سيرة ابن هشام ٨٨٠/٣ . وتاريخ الطبري ٥٣٢/٢ . وسبل الهدى والرشاد ٢٢٨/٤ . وأصله عند أحمد ٨٤/٢ ، وعند الحاكم ٣٨١/١ ، وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

(٥) ابن كثير ٩٥/٣ . وسبل الهدى والرشاد ٢٢٩/٤ .

وهذا فاغسلي عنه دمه ، فوالله لقد صدقني اليوم ، فقال رسول الله ﷺ : « لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف وأبو دجانة »[١] .

ولما أذن بلال المغرب خرج رسول الله متوكئاً على السعدين فصلى بهم ، ثم عاد إلى بيته[٢] ، ثم جاءت نساء الأنصار يبكين حمزة ﷺ[٣] ، ولما أذن بلال العشاء لم يخرج رسول الله ﷺ حتى غاب ثلث الليل ، فناداه بلال : الصلاة ، فهب الرسول ﷺ من نومه وخرج فإذا هو أخف في مشيته منه حين دخل[٤] ، وسمع بكاء نساء الأنصار على حمزة فقال : « مروهن فليرجعن ولايبكين على هالك بعد اليوم »[٥] .

وبات المسلمون الذين عادوا من المعركة وهم في غاية الجهد والتعب ، وبقيت طائفة منهم تحرس المدينة من أنقابها ، وبعضهم يحرس رسول الله ﷺ[٦] .

وفي صباح اليوم التالي أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو وألاّ يخرج إلاّ من حضر المعركة ، واستجاب أصحاب رسول الله ﷺ للنداء رغم الجراحات الكثيرة وساروا معه ﷺ حتى بلغوا حمراء الأسد[٧] على بعد ثمانية أميال من المدينة فعسكروا هناك[٨] .

وأما المشركون فإنهم لما بلغوا الروحاء على بعد ستة وثلاثين ميلاً من المدينة تلاوموا وقال بعضهم لبعض : لا مُحَمَّدًا قتلتم ولا الكواعب أردفتم ، بئسما صنعتم[٩] ، وتداعوا للعودة إلى المدينة ، فأنكر صفوان بن أمية ذلك عليهم وقال: يا قوم لا تفعلوا فإني أخاف أن يجتمع عليكم من تخلف عن الخروج ،

---

(١) سيرة ابن هشام ٨٨١/٣ . وتاريخ الطبري ٥٣٣/٢ . وعيون الأثر ٤٣١/١ . وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢٤/٣ بنحوه .

(٢) سبل الهدى والرشاد ٢٢٩/٤ .

(٣) سيرة ابن هشام ٨٨٠/٣ . ابن كثير ٩٥/٣ . سبل الهدى والرشاد ٢٢٩/٤ . وهو عند أحمد ٨٤/٢ .

(٤) سبل الهدى والرشاد ٢٣٠/٤ .

(٥) مسند أحمد ٨٤/٢ . وسنن ابن ماجه ، كتاب الجنائز ٥٠٧/١ . والمستدرك للحاكم ٣٨١/١ . وهو عند ابن هشام ٨٨١/٣

(٦) سبل الهدى والرشاد ٢٣٠/٤ .

(٧) حمراء الأسد : موضع في الجنوب الغربي من المدينة ، على بعد ستة عشر كيلاً من المسجد النبوي الشريف ، على طرف جبل عير ، يفصل بينهما وادي العقيق ، وفي حمراء الأسد جبل صغير يحمل اسمها ، يبدو على يسار الخارج من ميقات ذي الحليفة إذا تجاوزه قاصدًا مكة المكرمة . المغانم المطابة ٧٦٤/٢ .

(٨) سيرة ابن هشام ٨٨٢/٣ . . وسيرة ابن حبان ص٢٣٠ .

(٩) مجمع الزوائد ١٢١/٦ .

فارجعوا والدولة لكم فإني لا آمن إن رجعتم أن تكون الدولة عليكم ، وبينما هم كذلك إذ مر بهم معبد بن أبي معبد الخزاعي وكان قد مر برسول الله ﷺ بحمراء الأسد - وكانت خزاعة عيبة نصح لرسول الله ﷺ مسلمهم وكافرهم - فلما رآه أبو سفيان قال : ما وراءك يا معبد؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً . قال: ويحك ما تقول ؟ قال : والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل . قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم ، قال إني أنهاك عن ذلك[١] .

وحينئذ تضعضعت عزائم المشركين ودب فيهم الرعب فقرروا مواصلة السير إلى مكة ، ومر ركب من بني عبد القيس متجهاً إلى المدينة فوجد أبو سفيان الفرصة لتثبيط المسلمين عن ملاحقتهم ، فقال للركب : أين تريدون ؟ ، قالوا: المدينة ، قال :ولم ؟ ، قالوا :نريد الميرة ، قال : فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها وأحمل لكم هذه غداً زبيباً بعكاظ إذا وافيتموها ؟ ، قالوا : نعم ، قال : فإذا وافيتموه فأبلغوه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم ؛ فمرَّ الركب برسول الله ﷺ فأخبروه بالذي قال أبو سفيان ، فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل[٢] .

وصرف الله المشركين عن العودة إلى المدينة بفضل هذه السياسة الحكيمة من رسول الله ﷺ فمضوا إلى مكة .وفي حمراء الأسد أخذ الرسول ﷺ أبا عزة الجمحي الشاعر ، وكان ممن أسر ببدر ومنَّ عليه الرسول ﷺ لفقره وكثرة عياله على ألا يظاهر عليه أحداً ، لكنه غدر ، فلما أخذه قال : يامحمد أقلني وامنن عليَّ فقال ﷺ: والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول : خدعت محمداً مرتين ، اضرب عنقه يا زبير[٣] .

كما أخذ معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، وكان لجأ إلى ابن عمه عثمان بن عفان ﷺ ، فاستأمن له رسول الله ﷺ فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاث قتله فأقام

---

(١) سيرة ابن هشام ٨٨٣/٣ . وتاريخ الطبري ٥٣٥/٢ .

(٢) سيرة ابن هشام ٨٨٥/٣ . وأصل هذا في البخاري ٤٨/٦ كتاب التفسير ◻ سورة آل عمران .

(٣) سيرة ابن هشام ٨٨٥/٣ .

بعد ثلاث وتوارى يتجسس على المسلمين ، فأمر رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فتعقباه فقتلاه[١] .

وأقام رسول الله ﷺ بحمراء الأسد الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء[٢] ثم رجع إلى المدينة ، وهي تفور بالنفاق فور المرجل ، فقد أظهر المنافقون نفاقهم ، واليهود غشهم ، وقالوا : لو كان نبياً ما ظهروا عليه ولكنه طالب مُلْك ، وقال المنافقون للمسلمين : لو أطعتمونا ما قتلتم[٣] .

(١) سيرة ابن هشام ٨٨٦/٣ .
(٢) تاريخ الطبري ٥٣٥/٢ . وعيون الأثر ٣٧/٢ .
(٣) سيرة ابن كثير ٩٦/٣ . وسبل الهدى والرشاد ٢٣٠/٤ .

الملحق الأول : أسماء الشهداء :

اختلف أصحاب السير والتاريخ في عدد شهداء أحد وأسمائهم اختلافًا كبيرًا ؛ فابن إسحاق اقتصر على ذكر خمسة وستين شهيدًا ؛ أربعة من المهاجرين ، وواحد وستين من الأنصار .

واستدرك عليه ابن هشام خمسة شهداء من الأنصار ، فكمل العدد عنده سبعون .

وأما ابن سعد في الطبقات فجعل السبعين من الأنصار خاصة ، ثم لما ترجم لهم زادوا على ذلك .

وذكر ابن عبد البر أن عدد الشهداء واحد وسبعون شهيدًا .

وقد استدل البعض على أن الشهداء سبعون فقط ، بقوله تعالى : ﴿ أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها ﴾ ، قال : إن هذه الآية تسلية للمؤمنين عمن أصيب منهم في أحد ، بأنهم قد أصابوا من المشركين يوم بدر سبعين قتيلاً وسبعين أسيرًا ، وهذا ضعف ما أصيب منهم في أحد ، لكن إذا ما أحصينا أسماء شهداء أحد الذين ذكروا في مصادر السيرة والتاريخ فإنهم يزيدون على المائة .

قال ابن سيد الناس : فإن صلح ذلك - أي الاستشهاد بالآية على العدد - نقدًا وحملاً ، فالزيادة - أي الموجودة في المصادر - ناشئة عن الخلاف في التفصيل ، وليست زيادة في الجملة[1] .

وإليك قائمة بأسماء هؤلاء الشهداء ، الذين ذكرهم ابن هشام في كتابه :

من المهاجرين :

١ - حمزة بن عبد المطلب الهاشمي (سيد الشهداء)
٢ - عبد الله بن جحش العبشمي
٣ - مصعب بن عمير العبدري
٤ - شماس بن عثمان المخزومي

من الأنصار :

من بني عبد الأشهل :

٥ - عمرو بن معاذ بن النعمان
٦ - الحارث بن أنس بن رافع
٧ - عمارة بن زياد بن السكن
٨ - سلمة بن ثابت بن وقش
٩ - عمرو بن ثابت بن وقش
١٠ - ثابت بن وقش
١١ - رفاعة بن وقش
١٢ - (اليمان) حسيل بن جابر ، (أبو حذيفة)

---

(١) عيون الأثر ٤٤٢/١ .

١٣ - صيفى بن قيظى
١٤ - حَبَّاب بن قيظي
١٥ - عباد بن سهل
١٦ - الحارث بن أوس بن معاذ
ومن أهل راتج :
١٧ - إياس بن أوس بن عتيك
١٨ - عبيد بن التيهان
١٩ - حبيب بن يزيد بن تيم
ومن بني ظفر :
٢٠ - يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع
ومن بنى عمرو بن عوف ثم من بنى ضبيعة بن زيد :
٢١ - أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد
٢٢ - حنظلة بن أبى عامر (غسيل الملائكة)
ومن بنى عبيد بن زيد :
٢٣ - أُنَيس بن قتادة
ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف :
٢٤ - أبو حبة بن عمرو بن ثابت
٢٥ - عبد الله بن جبير بن النعمان (أمير الرماة)
ومن بنى السلم بن امرئ القيس الأوسيين :
٢٦ - خيثمة أبو سعد بن خيثمة
ومن بني العجلان :
٢٧ - عبد الله بن سَلِمة
ومن بنى معاوية بن مالك :
٢٨ - مالك بن تميلة (حليف لهم من مزينة)
٢٩ - سبيع (سويبق) بن حاطب بن الحارث
ومن بنى النجار ثم من بنى سواد بن مالك بن غنم :
٣٠ - عمرو بن قيس بن زيد
٣١ - قيس بن عمرو بن قيس
٣٢ - ثابت بن عمرو بن زيد
٣٣ - عامر بن مخلد
٣٤ - سليم بن الحارث
٣٥ - نعمان بن عبد عمرو
ومن بني الحارث بن الخزرج :
٣٦ - خارجة بن زيد بن أبى زهير
٣٧ - سعد بن الربيع بن عمرو
٣٨ - أوس بن الأرقم بن زيد
ومن بني الأبجر (بني خدرة) :
٣٩ - مالك بن سنان (والد أبى سعيد الخدري)
٤٠ - سعيد بن سويد بن قيس
٤١ - عتبة بن ربيع بن رافع
ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج :
٤٢ - ثعلبة بن سعد بن مالك
٤٣ - سقف بن فروة بن ابن البَدىّ
ومن بنى طريف رهط سعد بن عبادة :
٤٤ - عبد الله بن عمرو بن وهب
٤٥ - ضمرة (حليف لهم من جهينة)
ومن بنى عوف بن الخزرج ثم من بنى سالم :
٤٦ - نوفل بن عبد الله
٤٧ - عباس بن عبادة بن نضلة
٤٨ - نعمان بن مالك بن ثعلبة
٤٩ - المجذر بن ذياد (حليف لهم من بلى)
٥٠ - عبادة بن الحَسْحاس
٥١ - عمرو بن إياس
ومن بنى الحبلى :
٥٢ - رفاعة بن عمرو
٥٣ - ومن بنى سلمة ثم من بنى حرام :
٥٤ - عبد الله بن عمرو بن حرام
٥٥ - عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام
٥٦ - خلاد بن عمرو بن الجموح
٥٧ - أبو أيمن مولى عمرو بن الجموح
ومن بني سواد بن غَنْم :
٥٨ - سليم بن عمرو بن حديدة
٥٩ - عنترة (مولى سليم بن عمرو)
٦٠ - سهل بن قيس بن أبي كعب
٦١ - قيس بن عمرو بن قيس
٦٢ - ثابت بن عمرو بن زيد
٦٣ - عامر بن مخلد
ومن بنى مبذول :
٦٤ - أبو هبيرة بن الحارث بن علقمة
٦٥ - عمرو بن مطرّف بن علقمة
ومن بنى عمرو بن مالك :
٦٦ - إياس بن عدي
ومن بني زريق بن عامر :
٦٧ - ذكوان بن عبد قيس
ومن بنى حبيب
٦٨ - عبيد بن المعلى بن لوذان
ومن بني خطمة الأوسيين :
٦٩ - الحارث بن عدي بن خرشة
ومن بني سواد بن مالك الخزرجيين :
٧٠ - مالك بن إياس

الملحق الثاني : الآيات التي نزلت في غزوة أحد وأبرز العبر التي فيها :

بعد الغزوة نزلت خمسون آية ونيف من القرآن الكريم[1] ، تصف المراحل المهمة من تلك الغزوة ، وتظهر العبر في أحداثها ، وتركز على تهذيب النفس البشرية ، وتعزيز إيمانها ، بتحريرها من ربقة الشهوات والمطامع الدنيوية الصغيرة .

وقد وصف القرآن الكريم خروج رسول الله ﷺ ومن معه إلى القتال ، وأطلق على الذين وصلوا مرحلة القتال بالمؤمنين ليخرج من هذا الوصف الذين نكصوا عنه فقال تعالى : ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم ﴾ .

ثم أشار إلى البلبلة التي حدثت في صفوف المسلمين عندما نكص عبد الله بن أبي بن سلول بمن معه من المنافقين ، حتى هم بنو سلمة وبنو حارثة - وهم من الأنصار - أن ينسحبوا لولا أن ثبت الله قلوبهم فقال تعالى: ﴿ إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ .

وقبل أن يعرض القرآن الكريم أحداث المعركة التي أصيب بها المسلمون ؛ ذكرهم بالمعركة الأولى التي كانت سبباً لهذه المعركة والتي نصرهم فيها وهي معركة بدر ؛ لتكون هذه أمام تلك مجالاً للتوازن وتأمل الأسباب والنتائج ، وليزرع في قلوبهم اليقين بأن النصر والهزيمة كليهما من الله لحكمة تتحقق من وراء النصر كما تتحقق من وراء الهزيمة سواء ، وأن مرد الأمر في النهاية إلى الله في جميع الحالات فقال تعالى: ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ولله ما السموات وما الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم ﴾ .

---

(١) الآيات من ١٢١ ☐ ١٧٩ ، من سورة آل عمران .

ويظهر من هذه الآيات تركيز القرآن الكريم على تهذيب النفوس ، وذلك من خلال الإشارة إلى أن خلعة النصر إنما تكون مع ولاية الذل والانكسار لله سبحانه ﴿ وأنتم أذلة ﴾ وتذكيرهم بأن النصر الحقيقي من الله سبحانه ﴿ وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾ وأن مرد العباد كافرهم ومسلمهم إليه وحده ﴿ يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ وبذلك ينسلخ المسلمون بأشخاصهم من هذا النصر ويأمنون من الكبر والعجب الذي يثيره النصر في نفوس المنتصرين .

وتتميماً لسياق التركيز على تهذيب النفوس ينهى سبحانه عن المعاملات الربوية التي تتم على الجشع والطمع ، مذكراً أنها ليست من شأن المتقين ، آمراً بطاعته وبالإنفاق في السراء والضراء وبكظم الغيظ والعفو عن الناس والاستغفار من الذنوب فقال سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين ﴾ .

ثم بدأ سبحانه بالحديث عن الغزوة فقال: ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾ .

طمأن الله في هذه الآيات المؤمنين بأن انتصار المشركين عليهم في هذه المعركة ليس هو السنة الثابتة ، وإنما هو حادث غابر بينما النصر والغلبة في النهاية لهم ، ثم خفف عنهم ما أصابهم من الجراح والآلام بأن المشركين أصابهم مثلها وفي المعركة ذاتها ، مخبراً أن هذه الحياة الدنيا عرض حاضر يقسمها الله دولاً بين

أوليائه وأعدائه وتبقى الآخرة ونصرها ورجاؤها خالص للمؤمنين ، ثم إن في ذلك تمييزاً للمؤمنين من غيرهم ، واصطفاء للبعض منهم شهداء ، وتمحيصاً للباقين وتنقيتهم وتخليصهم من الذنوب وآفات النفوس ، ومحق أعدائهم الكافرين ، تحقيقاً لسنته في دفع الباطل بالحق متى استعلن الحق وخلص من الشوائب .

ثم بين لهم أن طريق الجنة محفوف بالمكاره ، وزادُه الصبر والجهاد وليس الأماني الطائرة التي لا تثبت على المعاناة والتمحيص ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون ﴾ .

ويتابع القرآن الكريم تربيته للنفوس المؤمنة متخذاً من أحداث المعركة دروساً عملية لذلك فقال: ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ﴾ .

أشار في الآية الأولى إلى حادثة إشاعة مقتل النبي ﷺ في تلك الغزوة ، وحالة الهلع والهزيمة التي وقعت من بعضهم ، ووجههم إلى وجوب الثبات في المعركة والدفاع عن دينهم حتى النهاية ، أما الموت الذي فروا من المعركة خوفاً منه فإنما هو قضاء مبرم بإذنه تعالى ، ولن يقدمه الثبات ، ولن يؤخره الهزيمة والفرار .

ثم ضرب لهم المثل بصبر الأنبياء السابقين وأتباعهم في ساحات الجهاد سائلين الله المغفرة والثبات ﴿ فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ﴾ .

ثم حذر الله سبحانه عباده المؤمنين من طاعة الكافرين والمنافقين ، لأن طاعتهم تورث الخسران ، مشيراً بذلك إلى تثبيط المنافقين والمشركين لبعض المؤمنين عن الخروج إلى الغزوة ، وأمرهم بطاعته وموالاته والتوكل عليه ، وبشرهم بأنه سيلقي في قلوب أعدائهم الخوف منهم والذلة لهم بسبب كفرهم وشركهم

مع ما ادخره لهم في الآخرة من العذاب والنكال فقال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به عليهم سلطاناً ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين ﴾ .

ثم ذكّرهم سبحانه بالنصر الذي حققه لهم في أول المعركة حسب وعده لهم ، ولو استمروا على الطاعة لاستمرت نصرتهم ، ولكنهم فارقوا مركزهم ، وضعفوا أمام إغراء الغنيمة ، ففارقتهم النصرة عقوبة وابتلاء ، فأخذوا في الهروب صاعدين في الجبل لا يلوون على شيء والرسول يدعوهم في أُخراهم: « إليّ إليّ يا عباد الله أنا رسول الله » فأثابهم غماً بغم لكيلا يحزنوا على ما فاتهم ولا ما أصابهم ، ثم تداركهم برحمته فعفا عنهم ، وأنزل عليهم نعاساً خفف به عنهم من ذلك الغم فأحسوا بالأمن والاطمئنان ، إلا نفر قليل أهمتهم أنفسهم وظنوا بالله ظن السوء وقالوا: ﴿ لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا ﴾ ، فرد عليهم سبحانه بأن الموت والحياة من قدر الله ، وما جرى فأمره الكوني ولا سبيل إلى دفعه ، ومع هذا فهو ابتلاء وامتحان لما في الصدور من الإيمان والنفاق ، وتمحيص لقلوب المؤمنين وتنقيتها وتهذيبها مما يخالطها من فساد الطباع وتزيين الشيطان واستيلاء الغفلة قال تعالى : ﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ماتحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غماً بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ﴾

ثم أخبر سبحانه أن الذين فروا من المعركة إنما فروا بسبب معصية ارتكبوها زعزعت نفوسَهم ، ومكنت الشيطان منهم ، فاستزلهم فتركوا مواقعهم وسقطوا ، ثم تداركهم الله بعفوه ؛ لأنه سبحانه يعلم أن ذلك منهم لم يكن عن نفاق وإنما عن ضعف اعتراهم . قال تعالى: ﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم ﴾ .

وتثبيتاً لحقيقة الإيمان بالقضاء والقدر في نفوس المؤمنين نهاهم عن مشابهة الكافرين في إسنادهم الموت والحياة إلى الأسباب الظاهرة البحتة غافلين عن الله سبحانه الذي بيده كل شيء ، فقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزاً لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله على بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون ﴾ .

وفي لفتة حانية إلى النبي ﷺ الذي تعرّض للقتل أكثر من مرة ، وفرّ عنه معظم أصحابه ، وأصابه من الجهد ما أصابه ؛ يذكّره سبحانه برحمته له ، وبما منّ عليه من اجتماع قلوب أصحابه عليه ، بسبب ما وهبه له من لين الجانب لهم وعظيم الأدب معهم ، آمراً له أن يعفو عمن هرب منهم ، ويستغفر لهم ، ولا يترك مشاورتهم ، وليتوكلوا على الله فهو الناصر والمعين ؛ قال تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ .

ثم نفى عن نبيه ما يمكن أن تسربه شياطين الجن والإنس إلى عقول بعض المؤمنين من احتمال إحراز الغنائم لنفسه والاستئثار بها دون أصحابه ، ممداً في هذا خيوطاً من التوجيه للأمانة والنهي عن الغلول وتوفية النفوس دون إجحاف . قال تعالى: ﴿ وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون ﴾ .

ثم ذكّرهم الله سبحانه في أثناء هذه المحنة - تخفيفاً عنهم - بأعظم نعمه عليهم والتي إن قابلوا بها كل محنة تنالهم تلاشت في جنبها ، وهي منّته عليهم بهذا الرسول الكريم الذي أرسله الله من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويخرجهم من الظلمات إلى النور .

قال تعالى: ﴿ لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ .

ثم ردّ سبحانه على دهشتهم المتسائلة عن سبب الخسارة ، وأخبرهم بأن ذلك بسبب نفوسهم التي تزعزعت أمام إغراء الغنيمة ، وإلا فقد مكّنهم في بدر مع قلتهم وضعفهم حتى أصابوا من عدوهم في تلك مثلي ما أصاب منهم في هذه ، ومع ذلك فما جرى كله بقضائه وقدره ، وفيه حكم كثيرة أهمها تمييز المؤمنين من المنافقين الذين تجرؤوا على إظهار ما في نفوسهم من النفاق والكفر . قال سبحانه: ﴿ أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴾ .

ثم عزَّى نبيه وأولياءه عمن قتل منهم في سبيله أحسن تعزية وألطفها وأدعاها إلى الرضا بما قضاه لها فقال: ﴿ ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾ .

ثم انتقل البيان الإلهي إلى تصوير موقف العصبة المؤمنة التي استجابت لله وللرسول بعد كل ما أصابها من القرح ، وخرجت تتعقب قريشاً بعد ذهابها خوفاً من الكرة على المدينة ، ولم تبال تخويف الناس متوكلة على الله وحده محققة بهذا الموقف معنى الإيمان وحقيقته فقال : ﴿ الذين استجابوا لله والرسول

من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ .

وختم القرآن الكريم الحديث عن الغزوة بتسلية الرسول ﷺ ومواساته من الحزن الذي ألمّ به وهو يرى الكافرين مسارعين في كفرهم إلى النار وهو لا يملك لهم رداً ، ثم مواساته أيضاً من الحزن الذي أصابه مما جرى لأصحابه ، ثم من الحزن الذي أصابه وهو يرى الأذى الذي أصاب الدعوة من جراء الخسارة التي لحقت بالمسلمين ، قائلاً له :

﴿ ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئاً ﴾ ولن يضروا دعوته ، ولن يضروا حملة هذه الدعوة ، وإنما تركهم ناجين لأنه يريد ﴿ ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة ولهم عذاب عظيم ﴾ وقد استحقوا هذا العذاب الأليم لأنهم اشتروا الكفر بالإيمان ﴿ إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئاً ولهم عذاب أليم ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ﴾ .

ثم واسى المؤمنين قائلاً لهم: إن ما أصابكم إنما هو تمييز لكم عمن انخرط في صفوفكم من المنافقين الذين يزعمون أنهم منكم ؛ حتى تعلموهم وتحذروهم بذلك ، أما هو سبحانه فهو يعلمهم ، ولكنه ما كان له أن يطلعكم كلكم على الغيب ، ولكن يطلع بعضاً ممن اجتباهم من رسله ، فتمسكوا بإيمانكم واتقون فإن فعلتم ذلك فلكم أجر عظيم .

قال تعالى: ﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ﴾ .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الآحاد والمثاني لأحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني ، المتوفى سنة ٢٨٧هـ ، تحقيق: د . باسم فيصل الجوابرة ، ط١ ، دار الراية - الرياض ١٤١١هـ
- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي ٦٣٤هـ ، تحقيق: د .محمد كمال الدين عز الدين علي ، ط١ ، عالم الكتب - بيروت١٩٩٧م
- البداية والنهاية لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبي الفداء ، المتوفى ٧٧٤هـ ، مكتبة المعارف - بيروت
- تاريخ الأمم والملوك لمحمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ ، ص١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧هـ
- تاريخ خليفة بن خياط الليثي العصفري المتوفى سنة ٢٤٠ هـ ، تحقيق: د . أكرم ضياء العمري ، ط٢ ، دار القلم , مؤسسة الرسالة - دمشق , بيروت ١٣٩٧هـ
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة لشمس الدين السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢هـ ، ط١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٣م
- التعريف بما آنست الهجرة لمحمد بن أحمد المطري المتوفى سنة ٧٤١هـ ، ط المكتبة العلمية - المدينة المنورة ١٤٠٢هـ
- تفسير ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ ، دار الفكر - بيروت ١٤٠٥هـ .
- تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة ٢١١ هـ ، تحقيق: د . مصطفى مسلم محمد ، ط١ ، مكتبة الرشد - الرياض ١٤١٠هـ
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للحافظ السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ ، ط دار الفكر - بيروت ١٩٩٣م
- الدرر في اختصار المغازي والسير ، ليوسف بن عبد البر النمري المتوفى سنة ٤٦٣هـ ، تحقيق: شوقي ضيف ، ط٢ ، دار المعارف - القاهرة ١٤٠٣هـ
- دلائل النبوة لجعفر بن محمد بن الحسن الفريابي المتوفى سنة ٣٠١هـ ، تحقيق: عامر حسن صبري ، ط١ ، دار حراء - مكة المكرمة ١٤٠٦هـ
- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، عبد الرحمن بن عبدالله الخثعمي السهيلي المتوفى ٥٨١ هـ ، تحقيق: مجدي منصور الشورى ، ط١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٨ - ١٩٩٧م

- زاد المعاد في هدي خير العباد لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المتوفى سنة ٧٥١ هـ ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط ، ط ١٤ ، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت ١٤٠٧ - ١٩٨٦م
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى سنة ٩٤٢هـ ، تحقيق: عادل أحمد عبد الجواد بالاشتراك ، ط١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٣هـ
- السنن الكبرى لأحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ، تحقيق: د . عبد الغفار سليمان البندراني ، ط١ ، دار الكتب العلمية - بيروت١٤١١هـ
- السنن الكبرى للبيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، ط مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ١٤١٤هـ
- سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي ، لمحمد بن إسحاق بن يسار المتوفى سنة ١٥١هـ ، تحقيق: محمد حميد الله ، نشر: معهد الدراسات والأبحاث للتعريب
- السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، المتوفى سنة ٢١٣هـ ، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد ، ط١ ، دار الجيل - بيروت ١٤١١هـ
- صحيح ابن حبان أبي حاتم التميمي البستي المتوفى سنة ٣٥٤هـ ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة □ بيروت ١٤١٤هـ .
- صحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ ، تحقيق: د . مصطفى ديب البغا ، ط٣ ، دار ابن كثير □ بيروت ١٤٠٧هـ
- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع أبي عبدالله البصري الزهري ، المتوفى سنة ٢٣٠هـ ، دار صادر - بيروت
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، لمحمد بن عبد الله بن سيد الناس المتوفى سنة ٦٧١هـ ، ط مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، ١٤٠٦هـ
- فتح الباري ، للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ، تحقيق: محب الدين الخطيب ، ط دار المعرفة - بيروت
- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، ٧١١هـ ، ط١ ، دار صادر - بيروت
- مجمع الزوائد ، لعلي بن أبي بكر الهيتمي المتوفى سنة ٨٠٧ هـ ، دار الريان للتراث - القاهرة ١٤٠٧هـ
- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥هـ ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية - بيروت١٤١١هـ
- مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني المتوفى سنة ٢٤١هـ ، مؤسسة قرطبة - مصر

- مسند علي بن الجعد الجوهري البغدادي المتوفى سنة ٢٣٠هـ ، تحقيق: عامر أحمد حيدر ، ط١ ، مؤسسة نادر - بيروت ١٤١٠هـ
- معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي ،المتوفى سنة ٦٢٦هـ ، ط دار الفكر - بيروت
- المعجم الكبير لسليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠هـ ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد ، ط٢ ، مكتبة العلوم والحكم - الموصل ١٤٠٤هـ
- معجم ما استعجم لعبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي المتوفى سنة ٤٨٧ هـ ، تحقيق: مصطفى السقا ، ط٣ ، عالم الكتب - بيروت ١٤٠٣هـ
- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى لعلي بن أحمد السمهودي المتوفى سنة ٩١١ هـ ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٣ ، دار إحياء التراث - بيروت ١٤٠١هـ